أعجزُ في اللغة العربية

هل اللغة العربية قاصرة عن تأدية بعض المعاني لالفاظ ابتدعها اهل العصر من المتبسطين في الحضارة ؟ — هذا سؤال اذا القيتهُ على الذين يزاولون مهنة القلم ، ولاسيما على اصحاب الصحف والمجلات وتعريب الكتب العلمية ، انقسم المجيبون عنهُ الى ثلاثة اقسام : طائفة تدّعي بان اللغة العربية اصبحت اليوم عاجزة عن تأدية المصطلحات العصرية من علمية وصناعية ، وذلك لشيخوختها ؟ وفريق يقول بان في صدر اللغة من الشباب الدائم ما يمكّنها من ان تقوم بكل ما يطلب منها من اوضاع العصر ، لان العربية كالعرب وهؤلاء يرجعون الى عنصر لا ينقرض؟ وجماعة تذهب الى ان الاخذ من لغات الاجانب نافع ، لكن بقدر ما ينتفع من الدواء على ازالة الداء ، او بقدر الملح للطعام

والظاهر ان الرأي الاخير هو المعقول وهو الذي يسود سائر الآراء وان كنتُ اذهب انا الى انهُ ما من لفظة افرنجية الاّ ويمكن ان يوضع لها في لغتنا الزنة ما يسدّ مسدها

وقبل اصدار حكم قاطع في هذا الموضوع ، يحسن بنا ان نعرف اعتراضات المغالين في الاخذ عن الاغراب ، لننظر قوة ما يوردونهُ من الادلة او ضعفهُ ، ليصح لنا بعد ذلك الاخذ بآرائهم او بدفعها . ودونك حججهم :

١ً ليست اللغة العربية اوسع اللغات ولا اشرفها

٢ً قبل ان نتمكن من وضع لفظة تناسب المدلول الجديد ، يكون العلماء قد وضعوا كلمات كثيرة لمعان اخرى جديدة

٣ً قد ننسى غداً ما وضعناهُ اليوم لقلة استعماله وفي اي المعاجم نحفظهُ اذا نقلناهُ الى لغتنا ، ولذا من الاصلح ان تتخذ الاعجمي على علاته ، اذ لا ينتظر ان يكثر استعمالهُ بين العامة بل يبقى خاصة باهل العلم

٤ً يقصد العلماء من استعارة الالفاظ اليونانية واللاتينية ان تكون اللفظة غير مستعملة لمعنى آخر حتى لا يقع التباس ، فتكون بمثابة علم للمعنى الجديد ، فلا غنى لنا عن ان نحذو حذوهم ولو عرّبنا كلماتهم

٥ً في نقلها بعجمتها الى العربية فائدة لابناء العرب لانهم اذا ارادوا مراجعة

كتب العلماء الاجانب في الموضوع نفسه يرون عليهم فهم كلامهم اذ الالفاظ العلمية تكون واحدة في جميع اللغات

٦ لا يحسن بنا ان نضع كلمتين عربيتين لكلمة واحدة افرنجية علمية لان الافرنج لا يكتفون بوضع الاسم للمسمى الجديد، بل يتصرفون فيه فيجمعونه وينسبون اليه ويشتقون منه فعلاً فيتعذر علينا ان نجري مجراهم في كلة عربية مركبة من كلمتين

٧ ليس تعريب الاعجمي بدعة في العربية فقد جرى عليه كل المترجمين في العهد الاول، فقد عرّبوا الوفاً من الكلمات الطبية والنباتية وغيرها

٨ تزيد الكلمات الجديدة العلمية على مائتي الف كلة في النبات وحده، فمن يستطيع ان يترجمها كلها وليس في اوسع المعاجم العربية اكثر من خمسين الف كلة

٩ الاسماء المستعارة لا تضر اللغة بل تغنيها اذا لم يكن لها مرادف فيها وحسبنا دليلاً على ذلك ما في العربية من الوف الكلمات الدخيلة ولاسيما ان لبعضها مرادفاً بل مرادفات في العربية ومع ذلك لم يكبر على اسلافنا تعريبها وادخالها في ابلغ كتبهم

هذه هي اكبر الاعتراضات التي يوردها القبيل القائل بوجوب ادخال الاعجمي في العربية، ودونك الجواب على كل من تلك المشكلات:

١ ليست اللغة العربية اوسع اللغات ولا اشرفها

يقال: هذا الآناء يسع ذلك السائل اذا كان لم يضق عليه بل يحويه كلهُ. والحال اننا نرى اللغة العربية قد وجدت الفاظاً عربية محضة لأدق نتاج ولدهُ الفكر وهو حقائق ما وراء الطبيعة، كالحجاب (وهو موت النفس وهي مشركة) والاعراف، ودكالى، والصفيرة، والكبيرة، والبرزخ، والشهار[1]، (وزان جبار) هذا فضلاً عن اصطلاحات التصوف التي لا تقع الا على كل مجرد من المادة في غالب الاحيان،

(١) الاعراف: سور بين الجنة والنار. وقال الزجاج: الاعراف اعالي السور واختلف في اصحاب الاعراف. فقيل: هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فلم يستحقوا الجنة بالحسنات، ولا النار بالسيئات. فكانوا على الحجاب الذي بين الجنة والنار

ودكالى بضم الاول اسم شيطان

والصفيرة مقاربة المعصية من غير ايقاع فعل وتسمى اللمم ايضاً والكبيرة ايقاع الفعل السيء العظيم

والبرزخ: ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت الى البعث فمن مات فقد دخل البرزخ

والشهار ويقال له الفسهاس: من يتولى ترتيب سلوات الليل في بيعة ومن لا ينام ليله عملا

فاضطر الاعاجم الى اتخاذ اللفظ العربي بنفسه للدلالة على المعنى المطلوب ، لانهم لم يضعوا لتلك المعاني الفاظاً، ولأن لغات اجدادهم وألسنة مجاوريهم من أقدمين ومحدثين لم يصطلحوا عليها اذ لم تخطر على بالهم ، ولهذا اضطر المستشرق العلامة لويس ماسنيون الفرنسي الى استعمال حروف العرب انفسهم سداً لهذا الخصاص حينما الف معجمهُ في موضوعات الصوفيين

وهل نسيت ان اللغات القديمة الواسعة المجال كاليونانية واللاتينية مثلاً تلتجىء في بعض الاحيان الى اللغات السامية لتؤدي المعنى المطلوب ، فان الاجانب اخذوا عن الساميين قولهم : جهنم ، وكروب ، وسروف ، وصأوت ، وهللويا ، ولاوي الى غيرها ، كما اخذوا الفاظاً كثيرة عن العرب في اول عهد الناس باللغة ، من ذلك نقلهم الى لغتهم (والكلام هنا عن اليونانيين) مع بعض تحريف : العَرس (وزان سبب) والرش ، والارز ، والإرْزيز ، والرذاذ ، والرشيف ، والعرس (بكسر الاول) والعريض ، والورس ، والورد (من الخيل) والحرز[1] (بالكسر) الى غيرها وتعد بالمئات

دع عنك ان الاجانب ادخلوا في لغاتهم الفاظاً جمة عربية علمية صرفة ، ولو كانت لغاتهم اوسع من لساننا لاخذوها عنها ولم يقتبسوها منا . وهذا وحدهُ كاف للدلالة على سعة لغتنا وضيق عطن لغاتهم مهما اطنبوا فيها

اما انها اشرف اللغات ، فيكفيها عزاً وفخراً انها من اقدمها عهداً وان المتكلمين بها لم ينقرضوا بخلاف اصحاب سائر الالسنة الذين عاصروا اجدادنا ، فانهم بادوا وامحقوا او ماتت لغاتهم وهم احياء كالعبريين مثلاً ، وزد على ما تقدم ان الافرنج انفسهم شهدوا بسعة لغتنا وشرفها

اما شهادات اهل الغرب فاكثر من ان تحصى ، ولا نريد ان نذكر ما قالهُ الاسباني ارياس منتانوس Arias Montanus المتوفى سنة ١٥٧٢ م وكان يعرف اثنتي عشرة لغة ، ولا ما صرّح بهِ الفرنسي فرانسوا رافلنغ François Rapheling المتوفى سنة ١٥٩٧ م وكان يحسن اربع عشرة لغة ، ولا ما جهر بهِ الطوشيو جيجيو الايطالي Antonio Gigeo المتوفى سنة ١٦٣٢ م ، وكان يتقن احدى عشرة لغة ،

(١) ودونك ما يقابلها في اليونانية : العَرس ersé — والرش aersan والارز ersédeis والارزيز eersédeia وهي بمعنى الرذاذ ايضاً والرشيف ، والعرس بمعنى امرأة الرجل هي عندهم ersé وكذلك تقولها بمعنى العريض اي ما اتى عليه سنة من المطر . والورد من الخيل بين الكميت والاشقر وعندهم eruthos الاحمر وتقولها الحرز وهو الموضع الحصين فالفعل eruthai بمعنى تحصن

وغيرهم من علماء المشرقيات والمغربيات من امم شتى ، لاننا لا نحب ان نسمع مثل هذا الاعتراض ، « ان هؤلاء الاجانب كانوا في اول عهدهم بالعربية ، وكانوا من المتهوسين بها حتى انهم جاوزوا كل حدّ في اطرائهم للغة عدنان ، فلا نرضى بشهاداتهم » ولهذا لا نذكرها نحن ايضاً لهذه العلة نفسها، واننا نجتزىء بايراد شهادات بعض المتأخرين ممن وقفوا على اسرار لغة الضاد واللغات السامية كما وقفوا على دخائل الالسنة الهندية الاوربية

قال الالماني فريتاغ صاحب المعجم العربي اللاتيني الكبير وصاحب عدة مؤلفات نقلها من العربية الى لغة اهل رومة وقد ذكر قولهُ هذا في مقدّمة المعجم (المطبوع بمدينة هال من اعمال صكصونية في سنة ١٨٣٠ في المجلد الاول ص: ز) « ليست اللغة العربية اغنى اللغات كلها جمعاء وكفى ، بل انها انجبت مؤلفين يكادون لا يعدون ولما كانوا يختلفون عنا كل الاختلاف في عصورهم ومزاياهم واخلاقهم ، كان كلامهم لا ينجلي لنا نحن الاغراب الاّ وفيهِ نكتة اشكال » . . .

وصرّح الهولندي دوزي في مقدمة مصنفهِ « الملحق بالمعاجم العربية » (ص : ز) ومع تصريحهِ شهادة لغوي انكليزي جليل المقام لا يكاد يجاريهِ لغوي من الاجانب ، اسمهُ « لين » وهو صاحب معجم ضخم في عشرة مجلدات تُذكَرُ فيهِ الالفاظ العربية بشرحٍ الى الانكليزية شرحاً يوضح معاني الكلم العربية احسن توضيح . ودونك معرب نصّ الهولندي : « لا بدّ من وضع معجم للالفاظ العربية المولدة ، لكن لغة الضاد غنية اي غنى حتى انهُ لا بد من مضيّ عدة سنوات ، بل ربما عدة قرون ، قبل ان يشرع بمثل هذا التأليف . قال العلامة لين وهو رجل جهبذ كفيّ كل الكفاية غير منازع في تفوقهِ : ان وضع معجم يضم بين ضلوعهِ المولدات العربية ويصدق عليهِ اسم معجم لا يمكن ان يؤلفهُ الاّ جمهور عديد من العلماء ساكنين في مدن من ديار اوربة وبين ايديهم خزائن كتب عربية خطية ، وبعالمهم علماء عديدون مقيمون في ربوع شتى من ديار آسية وافريقية . فيكون منهم من يغترف من مناهل الاسفار ، ومنهم من ينتفع من الافادات التي لا يعرفها الا بنو عدنان وحدهم ، ويحسن ان يكون كثير من هؤلاء الزملاء واقفين على بطائن العلوم الاسلامية . » انتهى

فهل بعد هذه الشهادة البديعة شهادة تنص احسن منها على سعة بحر العربية ،

وهل يمكن ان يقال مثل هذا القول في اي لسان اعجمي ؟ — فكفى اذاً بها شهادة . ولهذا نقف عندها ولا نتعداها وقد ذكرنا رأياً لكل من هؤلاء العلماء وهم من اعظم الرجال وقوفاً على أسرار العربية وهم من ثلاثة امم مختلفة

٢ . فوات الوقت قبل ان يتم الوضع

يقول بعضهم : لا نكاد ننتهي من وضع كلمة الاّ ويضع بعدها الافرنج كلمات جديدة لمدلولات استحدثت بعدها

نقول : ان الذين يتولّون وضع الالفاظ العربية يكونون قوماً والذين يكتشفون الاكتشافات يكونون آخرين . وكيف يفوت الوقت اذا كان البعض لا يمنع القبيل الآخر من السعي والجد ولو كان هذا القبيل من لسان آخر وعنصر غريب ؟ — ويكفينا ان نضع لفظاً جديداً من عشرة او من مائة حتى لا نكون ممن يلامون لوماً يجدُ موقعهُ . ثم ان الذين يُدخلون المصطلح العربي المحض الجديد لا يمنعون الشمويّة او المتحمسين للدخيل من اتخاذ الحرف الدخيل بثوبه الجديد او الغريب الى ان يتسنى لاهل اللغة وضع كلمة تسدّ مسد الدخيلة . وكم وكم من الالفاظ الاجنبية عاشت زمناً ثم جاءت العربية بعدها فقتلتها واماتتها ولم يبق لها ذكر ؟

هذه كلمة غزتة وغزطة وجرنال وبالو ومدام ومدموازيل وبوسطة وتلغراف وطوب وطوبجي وريفولفر وتفتك او تفكّ وجرخ ونحوها وهي كثيرة تُعَدّ بالمئات كانت تجري على اقلام الكتاب والسنة العوام وهي كلها قد دفنت اليوم وبادت ولا يعرف في هذا العهد الاّ ما وضع بدلاً منها وهي : جريدة ومجلة وليلة راقصة وسيدة وآنسة وبريد وبرقية ومدفع ومدفعي ومسدّس وبارودة او بندقية وعجلة الى غيرها

وهؤلاء الذين يقولون بفوات الوقت قبل ان يتم للوضع يستعملونها هم بانفسهم ولا يودون ان يتخذوا غيرها في مؤلفاتهم او مترجماتهم ، فهم اذاً اتباع النقل لا يمنع الغير من الاختراع والاكتشاف والابتداع ووضع اسماء جديدة لمسميات حديثة تجيء بعد الوضع الجديد « فكل يجري في فلكه »

٣ . وقد ننسى غداً ما وضعناهُ اليوم

يقول المتعصبون للالفاظ الدخيلة : قد ننسى غداً ما وضعناهُ اليوم لقلة استعماله ، وفي اي المعاجم نحفظهُ ان نقلناهُ الى لغتنا ، ولذا من الاصلح ان نتخذ الاعجمي على

علاتهِ اذ لا ينتظر ان يكثر استعمالهُ ، بل يبقى خاصة باهل العلم

نقول . نعم قد ننسى غداً ما وضعناهُ اليوم ، اذا كان غريباً عن لساننا واوضاعنا وصيغنا واوزاننا ومزايا لغتنا واما اذا كان موافقاً لها فلا يكون ذلك ، بل يندغم حالاً في جسم اللغة ويزيدها صحة وحسناً وحياةً وعمراً

ودونك مثلاً : فهذه كلة مكروكوكس micrococcus اذا لفظت بها امام عربي استعاذ بالله حالاً لظنهِ بخلاف قولك لهُ حبيبيات . فالكلمة الاعجمية غريبة على السمع وهي منحوتة من كلتين يونانيتين من مكرو (= صغير) وكوكوس (= حبة) ومحصلها بالعربية الحبيبة تصغير حبة . وكما انهُ يراد بها جراثيم في منتهى الصغر مدورة الشكل تكون غالباً ساكنة الحركة لا اهداب لها وتنشأ من البرْغ (Spores) وتتوالد بالتجزئة قيل لها حبيبيات كما سميت بمثل هذا الاسم عند العلماء الاجانب

وهل يتصور عربي ان واحداً من ابناء البادية يحفظ مكروكوكوس الى اليوم الثاني ، ولو كررتها على سمعهِ مئات من المرار ويحفظ معناها ولا سيما اذا سمع معها الفاظاً اخرى تبتدىء كلها بمكرو وهي اكثر من مئة لفظة ؟ — بخلاف قولك لهُ ، حُبيْبيات ، فانهُ يحفظها وينطبع معناها في ذهنهِ اذ يحفظ منذ طفولتهِ كلة حبة ومصغرها وما ينسب اليها مجموعة

فعلى قلة استعمال هذه اللفظة تحفظ احسن حفظ في الذاكرة لما ذكرناهُ للثامن العلل ، وهي اذا عرضت لهُ مرة ثانية يفهمها للحال ، ولكونها جديدة بهذا المعنى تدوَّن في معجم يكون بمنزلة ملحق تذيَّل بهِ معاجمنا العربية على حدّ ما يفعلهُ الافرنج ، ربما تدخل الكلمة في جسم المعاجم التي تؤلف بعد هذا العهد . وعلى هذا الوجه نستغني عن رطانة الاعاجم وغرابة اوزان الفاظهم وما فيها من الثقل الذي يكاد يأخذ بالخناق ويزهق الارواح ، لشدة ما يعانيهِ ابن الضاد عند اكراههِ على الخروج من البيئة التي يعيش فيها الى بيئة لم يعتد هواءها ، كما يشعر بمثل ذلك كل من اخرجتهُ من منشأهِ واجبرتهُ على حلول منزل لم يألفهُ ولم يعرفهُ ولا يمكنهُ ان يألفهُ او يعرفهُ

٤ سبب اقتباس العلماء للالفاظ اليونانية واللاتينية

يقول المخالفون : يقصد العلماء من استعارة الالفاظ اليونانية واللاتينية الدخيلة في السنتهم ان تكون اللفظة غير مستعملة لمعنى آخر حتى لا يقع التباس فتكون بمثابة

علم للمعنى الجديد ، فلا غنى لنا على ان نحذو حذوهم ولو عربنا كلماتهم

تقول انهم اختاروا هـذا الصراط وفضّلوهُ على غيره لانهُ ليس لهم طريقة اخرى للدلالة على ما يريدونهُ من إلباس مدلولاتهم الجديدة الحلة اللائقة بها . اما الذين في مندوحة عنها كالعرب ، فلنا نهج آخر أيسر من نهجهم نهج نضاهي بهِ من اذا اراد الوصول الى موطن وكانت لهُ عدة طرق يختار لنفسهِ احسنها واقربها الى غايتهِ ولاسيما لانهُ يعرفها جدّ المعرفة ، فكأنهُ يختار لنفسهِ الجدد ، وقد جاء في امثال السلف الصالح : « من سلك الجدد أمن العثار »

اما هذا الجدد فهو ان نعمد الى ما بلي من الالفاظ المنسية او اصبحت كالمنسية ونفكك عُرى قدمها ، بل نكسر مدلولها القديم ونفرغهُ في قالب معنى جديد ، ونتكلم بلساننا في بيتنا ، أيحتم علينا ان نستعين بالاغراب حتى في عقر دارنا ، او لم نر كيف قال معاصرونا : دراجة وسيارة ودبابة وطرادة وطيارة ورشاشة وغواصة وقطار وقاطرة ومقطورة وجريدة ومجلة ومقالة ومصباح وقنديل الى غيرها ، وهي اذا نطقنا بها لا يقع طائر معانيها الاّ على المدلولات العصرية الجديدة ولا يخطر بالبال ذلك المعنى القديم البالي . فهذه كلها ومئات غيرها قد قتلت معانيها العادية ونشرت بمظهر معنى عصري جديد

ولما لم يكن للطوج[1] مثل هذه الالفاظ لم يخطر على بالهم هذا الاسلوب من الوضع والاصطلاح

واعلم انهُ لو كان للاجانب مخرج من المأزق الذي هم فيهِ لما اضطروا الى ركوب هذا المركب . وهذا الاضطرار بيّن كل البيان في الالفاظ التي ينحتونها من اليونانية واللاتينية معاً ، وقد قام على هذا العمل الشنيع جماعة من لغويهم وقبحوا متخذي هذه الطريقة اشد التقبيح ، فلماذا يريد بعضهم ان يجبرنا — ولغتنا سامية — على ادخال العنصر غير السامي في لساننا البديع الحسن والبهاء ؟

(كلدة)

---

(١) استعملنا الطوج (وهي جمع طوج) بمعناها الاصلي الحقيقي وهي كلمة يونانية معناها الغرب الاصل او الغرب الجنس والقومية